

في آيات، وفي يوسف ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾^(١) وإنساء الشيطان من أسوء السوء وأفحش الفحشاء، لأنه مفتاح كل سوء وفحشاء، أفيزعم مختلفو التهم على يوسف أن ربه كذب فما صرف عنه إنساء الشيطان، أو نسي أنه من عباده المخلصين؟!

٦ - وشاهد سادس أنه لم يهم بها إذ ﴿رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ ولا صبأ إليهن إذ ﴿فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ﴾^(٢) وهذان الموقفان من أخطر مواقف الامتحان وأزّلها للأقدام، ويوسف الصديق لا ينسى فيهما ربه، فبأحرى ألا ينساه في السجن، وهو أحب إليه مما يدعونه إليه! فكيف يتوسل في الخروج عنه دخولاً في سجن النسيان.

٧ - وشاهد سابع أن التوسل إلى غير الله فيما لا يجوز، كخلفية لإنساء الشيطان هو من الشرك، وهو القائل لصاحبي السجن ﴿مَا كَانَتْ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ وهذا هو ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ ومن أشنع شيء! وهو القائل ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ...﴾ وإبراهيم لم يبرز حاجته لجبريل وهو على المنجنيق إلى النار حيث يقول له: أما إليك فلا، فكيف يتوسل متّبعه في ملته بفرعون لخلاصه بوسيط فرعوني مشرك؟! ثم إن ذكر الله والإخلاص لله لا يستوجب ترك التوسل بالأسباب للتوصل إلى ما يرضاه الله، يوسف يدخل إلى سجنه حيث أحبه فراراً عما يدعونه إليه، ولكنه سجن بتهمة المراودة، وهي أقل المحظورين بالنسبة له، فهلاً تجب عليه محاولات متعددة مشروعة لإبعاد التهمة الملتصقة به، فلو كان سجنًا بلا تهمة لم يكن ليتوسل بمن توسل، اللهم إلا لراجعة أو واجبة أخرى.

ففي الحق ليست قاله الصديق للذي ظن أنه ناج: ﴿أَذْكُرُنِي عِنْدَ

(١) سورة يوسف، الآية: ٢٤.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٣٤.

رَبِّكَ ﴿ إِلَّا تَحْقِيقًا لِأَمْرِ الْحَقِّ بِحَقِّهِ حِفْظًا عَلَى سَاحَةِ الرِّسَالَةِ الْقُدْسِيَّةِ مِنْ تَهْمَةِ الْخِيَانَةِ وَخِيَانَةِ التَّهْمَةِ، وَكَمَا أَمَرَ اللَّهُ ﴿ وَأَتَّبَعُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾ (١) وَإِذَا كَانَ خُرُوجُهُ مِنَ السِّجْنِ بِهَذِهِ الذِّكْرَى الصَّالِحَةِ فَهِيَ وَسِيلَةٌ إِلَى اللَّهِ خِلَاصًا لَهُ مِنَ السِّجْنِ وَكَمَا قَالَ اللَّهُ ﴿ . . . وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجْتَنِي مِنَ السِّجْنِ . . . ﴾ (٢) .

أفيحق بعد ذلك كله أن يتهم بإنساء الشيطان له ذكر ربه! أم يندد به لماذا توسل بما توسل لبراءته؟ إن هذا إفاك قديم وشيطنة مدروسة وهرطقة مدسوسة ضد ساحة الرسالة القدسية وإن تضافرت به الروايات (٣) فإنها مضروبة عرض الحائط لمخالفتها كتاب الله!

﴿ أَذْكَرُنِي عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ لا يعني إلا مجرد ذكره عند الملك ليخرج عن التناسي المعمد بحقه على ذكر تهمة الخيانة المتداولة على الألسن، دون أية

(١) سورة المائدة، الآية: ٣٥.

(٢) سورة يوسف، الآية: ١٠٠.

(٣) الدر المنثور ٤: ٣٠ أخرج بعدة طرق عن رسول الله ﷺ أنه قال: رحم الله يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك ما لبث في السجن طول ما لبث أو: لولا أن يوسف استشفع على ربه ما لبث في السجن طول ما لبث ولكن إنما عوقب باستشفاعه على ربه، أو لو لم يقل يوسف الكلمة التي قال ما لبث في السجن طول ما لبث حيث يبتغي الفرج من عند غير الله تعالى.

وفي نور الثقلين ٢: ٤٢٧ عن المجمع وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: عجبت من أخي يوسف كيف استغاث بالمخلوق دون الخالق، وعن تفسير العياشي عن يعقوب بن شعيب عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال الله ليوسف: أأنت جيتك إلى أهلك وفضلتك على الناس بالحسن، أولست بعثت إليك السيارة وأنقذتك وأخرجتك من الجب؟ أولست الذي صرفت عنك كيد النسوة؟ فما حملك على أن ترفع رغبتك أو تدعو مخلوقاً دوني فالبت لما قلت في السجن بضع سنين.

أقول: ليس في شيء من هذه وتلك أن الشيطان أنساه ذكر ربه، وإنما نكاية عليه لما توسل إلى مخلوق ما، وهذا تهديم لكافة الأسباب التي يجوز التمسك بها أو يجب لأمر جائز أو واجب، إذأ فهي كلها من الموضوعات وضعتها الأيدي الأثيمة الإسرائيلية، فتسربت إلى أحاديثنا وأخذت موضعها من القبول لدى من لا يؤصلون القرآن في حجته، وهذا غريب من الأكثرية الساحقة في كافة الحقول العلمية الإسلامية كيف يعتمدون على روايات مخالفة لكتاب الله وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا؟!

وساطة بينه وبين الملك، أو التماس عفو أمّا ذا مما لا تناسب ساحة العبودية فضلاً عن سماحة الرسالة، فإنما ﴿أذْكُرْنِي﴾ والذكر فقط، ولو كان أمراً وراءه قال: عند الملك، أم: عند الرب أم: عند ربنا، ليستجيش رحمته عليه، ولكنه ﴿عِنْدَ رَبِّكَ﴾ إعلاناً بأن ربوبيته وسلطته ليست على ذلك السجين، وإنما على ربه والذين استخفهم فأطاعوه.

وحتى إذا أرسل إليه الملك ﴿أَتُونِي بِهِ﴾ يقول لرسوله ﴿أَرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ﴾ دون استجابة لدعوة الخروج، ولا امتنان منه، فإنما ﴿أَرْجِعْ... فَسَأَلَهُ﴾.

ليأخذ البرائة وهو في السجن، فيكون خروجه عن سجن التهمة قبل هذا السجن الذي قال عنه: ﴿رَبِّ السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾.

﴿فَأَنسَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾ انشغالاً بما كان من سقاية الخمر للملك، وتناسياً تلك الفترة الرحيمة في سجنه مع يوسف الصديق، حيث الشيطان يحاول دوماً في إبقاء الصديقين في السجن بتهمة الخيانة أمّا هيه من تهمة، ومن مخلفات ذلك النسيان:

﴿فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ والبضع فوق الثلاثة ودون العشرة، ثم لا نرى يوسف أن يعود في التوسل، حيث طبّق واجبه الإيماني والرسالي وعلّ في تكراره مع السجناء الآخرين مزرئة بساحة الرسالة، فيصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين، ولم يكن طائل السجن له في باطن أمره إلا لصالحه، فعلّه لو خرج قبل بضعه لكان فيه تهدد لبضعه من كيد امرأة العزيز ونسوة في المدينة!

أو علّه تنبيهة له أن ربه هو الذي يذكّر ناجي السجن لوقته الصالح، دون أن يذكر هو بما ذكّر، فلم يجعل قضاء حاجته على يد عبد خارج عن ربة عبوديته، ولا سبب يرتبط بعبد، وذلك من اصطفاؤه وإكرامه!

فهرس الجزء الرابع عشر

الصفحة

الموضوع

تتمة سورة يونس

سورة يونس ، الآيات : ٩٤ - ١٠٩ ٧

سورة هود

سورة هود، الآيات : ١ - ٧ ٢٩

أول ما خلق الله الماء ٥٩

سورة هود، الآيات : ٨ - ١٦ ٧٠

سورة هود، الآيات : ١٧ - ٢٤ ٨٨

سورة هود، الآيات : ٢٥ - ٤٩ ١٢٧

سفينة نوح عليه السلام وأهل بيت محمد عليهم السلام ١٧١

أضواء على قصة نوح ١٧١

| | |
|-----|----------------------------|
| ١٧٨ | بشارات حول «الجودي» |
| ١٨٨ | سورة هود، الآيات: ٥٠ - ٦٠ |
| ١٩٧ | سورة هود، الآيات: ٦١ - ٦٨ |
| ٢٠٦ | سورة هود، الآيات: ٦٩ - ٨٣ |
| ٢٢٣ | سورة هود، الآيات: ٨٤ - ٩٣ |
| ٢٤٤ | سورة هود، الآيات: ٩٤ - ١٢٣ |

سورة يوسف

| | |
|-----|----------------------------|
| ٣١٧ | سورة يوسف، الآيات: ١ - ٦ |
| ٣٣٩ | سورة يوسف، الآيات: ٧ - ٢١ |
| ٣٦٣ | سورة يوسف، الآيات: ٢٢ - ٣٤ |
| ٣٩٤ | سورة يوسف، الآيات: ٣٥ - ٤٢ |